

المقدمة

الحمد لله رب العالمين حمدا يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه ، والصلاة و السلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد :

العفة موضوع مهم في المجتمع المعاصر الذي نعيشه الان ، الذي ينقصه الوازع الديني وغفله الكثير من الناس عن أمور الدين و أهمها العفة ، لأن مجتمعنا يواجه في الوقت الحاضر تحديات وصعوبات وموجات من الفتن ، وفنون من الانحراف لأفساد الشباب وإغراقهم في وحل الرذيلة وأبعادهم عن دروب الفضيلة .

وقد كان سبب اختباري للموضوع هو أنه موضوع يتحدث عن قضية تهم أجيال الأمة العربية الإسلامية الذين يحاصرهم طرق الفتن .

وقد قسمت بحثي على مقدمة ، ومبحثين وخاتمة ، وأوضحت سبب اختياري للموضوع ، وتناولت في المبحث الأول : مفهوم العفة والألفاظ ذات الصلة بالعفة ، وقد قسمته الى مطلبين تكلمت في المطلب الأول تعريف العفة لغة واصطلاحا ، والمطلب الثاني الألفاظ ذات صلة بالعفة ، و المطلب الثاني عن العفة في سورة يوسف (عليه السلام) .

المبحث الأول

مفهوم العفة والألفاظ ذات الصلة المتعلقة بالموضوع

المطلب الأول : تعريف العفة لغة واصطلاحاً

الأول : العفة : الكف عما لا ينبغي . ورجل عف و عفيف . وقد عف بحق . (عف) العين والفاء أصلان صحيحان : أحدهما الكف عن القبيح ، والأخر دال على فلة شيء .

والأصل الثاني : العفة : بقية اللبن في الضرع . وهي أيضا عفاة . ويقال : تعافت ناقتك ، أي أحلبها بعد الحلبة الأولى ودع فصيلها يتعفها ، كأنما يرتضع تلك البقية ، وعفت فلانا : سقيته العفاة . قاما قولهم : جاء على عفاف ذاك ، أي إبانه ، فهو من الأيدال ، والأصل " إذان " .^(١)

(العفاة) القليل من اللبن في الضرع قبل كثرته فيه أو بعد أن يحلب (العفة) سمكة جرداء بيضاء صغيرة طعم مطبوقة كالأرز .

(العفة) ترك الشهوات من كل شيء وغلب في حفظ الفرج مما لا يحل . (العفة) الا لمتصفة بالعفة و السيدة الخبيرة (ج) عفائف .^(٢)

ثانيا : تعريف العفة اصطلاحاً

(العفة) : حصول حالة للنفس تمتنع بها عن غلبة الشهوة ، المتعفف : المتعاطي لذلك يضرب من الممارسة و القهر وأصله الاقتصار على تناول الشيء القليل الجاري مجرى العفاة ، والعفة ، أي : الغيبة من الشيء ، أو مجرى التعفف ، وهو ثمر الأراك والاستعفاف : طلب العفة . ((ومن كان غنيا فليستعفف)) (النساء ٦) وقال : ((وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا)) (النور ٣٣) .^(٣)

(العفة) هيئة للقوة الشهوية متوسطة بين الفجور ، الذي هو إفراط هذه القوة ، والخمود الذي هو تفریطها . فالعفيف من يباشر الأمور على وفق الشرع والمروءة) .^(٤)

١- مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي ابو الحسن (ت : ٣٩٥ هـ) ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .

٢- المعجم الوسيط ، (ابراهيم مصطفى ، أحمد الزيات ، حامد عبد القادر ، محمد البخار) دار الدعوة ، (د . ت) .

٣- المفردات في غريب القرآن ، ابو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني (ت ٥٠٢ هـ) ، تحقيق : صفوان عدنان الداودي ، دار القلم ، الدار الشامية - دمشق بيروت ، ط ١ ، ١٤١٢ هـ ، ١ | ٥٧٣ .

٤- كتاب التعريفات ، علي بن محمد بن علي الجرجاني (ت ٨١٦ هـ) تحقيق عادل انور خضر ، (دار المعرفة بيروت - لبنان) ط ١ (١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م) ، ص ١٣٩ .

المطلب الثاني

ألفاظ ذات الصلة بالعفة

١- الإحصان

" الحصن في اللغة كل موضع حصين لا يوصل الى ما في جوفه ، و امرأة محصنة احصنها ، ومحصنة أحصنت زوجها و امرأة حاصن يشبه الحصن الحصانة أي العفافة عن الريبة " (١) .

من المعاني التي جاءت بمعنى العفة الإحصان ، منها امرأة محصنة بعفافها عن الريبة أما بزواج أو مانع آخر ، وتأتي بمعنى الأحكام قال تعالى ((لا يقاتلونكم جميعا الا في قرى محصنة)) (٢) أي أن القرى جعلت كالحصون في أحكامها ومنه درع حصينة تحصن البدن ، وتأتي بمعنى المنع بأن يحمي الشيء ويمنع منه فأصل الإحصان هو المنع (٣) .

وقد ورت مشتقات الإحصان أربعة عشرة مرة في خمس سور ، هي سورة النساء ، المائدة ، النور ، الأنبياء ، التحريم ، نذكر منها :

قال تعالى ((و المحصنات من النساء ألا ما ملكت أيمانكم كتاب الله عليكم وأحل لكم ما وراء ذلك فلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين فما استمتعتم به منهن فأتوهن أجورهن فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتن به من بعد الفريضة أن الله كان عليما حكيما)) (٤) .

والمحصنات من النساء أي النساء ذوات الأزواج غير المسيبات و قيل أنها العفيفة العاقلة من مسلمة أو أهل الكتاب (٥)

-
- ١- كتاب العين ، ابو عبد الرحمن الخليل بن احمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت : ١٧٠ هـ) تحقيق د. مهدي المخزومي ، د. ابراهيم السامرائي ، دار مكتبة الهلال ، (د . ط) : ١١٨ | ٣ .
 - ٢- سورة الحشر من آية (١٤) .
 - ٣- ينظر : بصائر ذري التميز في لطائف الكتاب العزيز ، مجد الديت ابو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت : ٨١٧ هـ) تحقيق محمد علي النجار ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة ، د . ط (١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م) : ٢ | ٤٧٢ ، وتأويل مشكلة القرآن ، ابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت : ٢٧٦ هـ) تحقيق ابراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، (د . ط) : ١ | ٢٥٧ ، ولسان العرب : ١٣ | ١١٩ .
 - ٤- سورة النساء ، آية (٢٤) .
 - ٥- جامع البيان في تأويل القرآن ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالي الاملي ابو جعفر الطبري (ت : ٣١٠ هـ) تحقيق احمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، ط ١ (١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م) : ٨ | ١٥١ .

، وعن مجاهد " : ((والمحصنات من النساء ألا ما ملكت أيمانكم)) قال : العفاف " وقيل " المحصنات أي احصنهن التزوج أو الأزواج أو الأولياء أي أعفهن عن الوقوع في الحرام " (١) .
قال تعالى ((والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون)) (٢) .

الرمي هنا يقصد به الاتهام بالزنا ، ومن يقذف العفيفة المسلمة الحرة بالزنا ثم لم يأت بأربعة شهود عدول على ما رموهن به من الزنا فعقابه الحد بالجلد ثمانين جلدة مع عدم قبول شهادته لمن لم يثبت قوله . (٣)

قال تعالى : ((أن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم)) (٤) .

هنا توعد لمن يتهم المؤمنات العفيفات بالزنا و الغافلات لما يقال عنهن ، بأبعدهم عن رحمته في الدنيا والآخرة و العذاب العظيم . (٥)

ونخلص القول من خلال تفسير الآيات الكريمة أن الإحصان بالمعنى الشرعي يشتمل على المعاني الآتية :

العفاف و الزواج و الحرية و الإسلام .

١ - حفظ الفرج

ورد حفظ الفروج في كتاب الله خمس مرات في ثلاث سور وهي النور و المؤمنون و الأحزاب و المعارج وكلها سور مدنية . (٦)

-
- ١- أرشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم (تفسير ابي السعود ، ابو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت : ٩٨٢هـ) ديت ، دار أحياء التراث العربي - بيروت ، (د. ط) : ٢ | ١٦٣ .
 - ٢- سورة النور ، آية (٤) .
 - ٣- ينظر : الكشف و البيان عن تفسير القرآن ، احمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي ابو اسحاق (ت : ٤٢٧ هـ) ، تحقيق الأمام ابي محمد بن عاشور ، دار أحياء التراث العربي بيروت - لبنان ، ط ١ (١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٤ م) : ٢ | ٦٧ .
 - ٤- سورة النور ، آية (٢٣) .
 - ٥- ينظر : المنتخب في تفسير القرآن الكريم ، لجنة من علماء الأزهر ، (د . ت) ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - مصر طبع الاهرام ، ط ١٨ (١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م) : ١ | ٥٢٠ .
 - ٦- المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم ، محمد فؤاد عبد الباقي ، مطبعة دار الكتب المصرية - القاهرة ، : (١٣٦٤ هـ) : ص : ٢٠٧ .

الموضع الأول : في قوله تعالى ((قل للمؤمنين يقظون أبصارهم و يحفظون فروجهم ذلك أذكى لهم أن الله خبير بما يصنعون)) .^(١)

هنا أمر الله تعالى المؤمنين يحفظ أعينهم عن النظر الحرام و الاقتصار على ما يحل وحفظ فروجهم عما يحرم عليهم ، وقيل المراد به سترها عن أن يراها أحد لا يحل له ذلك ، وكلاهما فيه معنى حفظ الفرج ، وقدم غض البصر على حفظ الفرج لحكمة جلييلة وهي لقطع ذرائع الزنا التي منها : النظر الى الحرام ، فلا يباح إلا ما أباح لهم النظر اليه .^(٢)

و النظر قد يستعمل في حلال أو حرام ، فجاءت من التبعية هنا لبيان لزوم غض البصر عن الحرام فلا يلزم غضها عن الحلال ، والنظرة الأولى غير معتمدة لا تحرم ، بخلاف الأمر في حفظ للفرج الذي جاء الأمر في هذه الآية يحفظه وعفاه ، والعفاف يكون عن الحرام دون المباح فلم يدخل منه حرف التبعية .^(٣)

يستنتج مما سبق أن هذا التفسير إشارة الى بعض الحالات التي يباح فيها للنظر الى المحارم من النساء ، حين يجوز النظر الى شعورهن و أيديهن نظرة عابرة .

الموضع الثاني : يتبعها قوله تعالى والخطاب موجه للمؤمنات : ((و قل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن)) .^(٤)

وقد أفرد النساء بالذكر لتفردهن بأحكام مستقلة لهن لا تخص الرجال ، ولبيان خطورة المرأة ودورها في هذا الأمر ، فأفرد الخطاب للنساء من باب التأكيد عليهن ، لأن مقصد المرأة من الرجل مثل مقصد الرجل من المرأة .^(٥)

ويستنتج مما سبق أن غض بصر النساء دليل على أن العفة مقصد شرعي يجب أن يحققه الطرفان .

-
- ١- سورة النور ، آية (٣٠) .
 - ٢- ينظر نيل المرام تفسير آيات الأحكام ، ابو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطيف الله الحسين البخاري القنوجي (ت : ١٣٠٧ هـ) محمد حسن اسماعيل - احمد فريد المزيدي ، دار الكتب العلمية ، د . ط (٢٠٠٣ م) : ١ | ٣٩٣ .
 - ٣- ينظر : النكت و العيون ، ابو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الماوردي (ت : ٤٥٠ هـ) تحقيق السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم ، دار الكتب العلمية - بيروت | لبنان ، (د . ط) : ٤ | ٨٩ .
 - ٤- سورة النور ، آية (٣١) .
 - ٥- ينظر الدار المنشور ، عبد الرحمن بن ابي بكر جلال الدين السبوطي (ت : ٩١١ هـ) د . ت ، دار الفكر - بيروت ، (د . ط) : ١١ | ٢١ .

الموضع الثالث : في قوله تعالى ((أن المسلمين و المسلمات و المؤمنين و المؤمنات و القانتين و القانتات و الصادقين و الصادقات و الصابرين و الصابرات و الخاشعين و الخاشعات و المتصدقين و المتصدقات و الصائمات و الحافظين و الحافظات و الذاكرين الله كثير و الذاكرات و الذاكرين الله كثيرا و الذاكرات أعد الله لهم مغفرة و أجرا عظيما)) . (١)

سبب نزول هذه الآية نعلمه بما روي عن مجاهد قوله ((أن المسلمين و المسلمات)) قال : " قالت أم سلمة زوج النبي (صلى الله عليه وسلم) ما للنساء لا يذكرن مع الرجال في الصلح ؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية . (٢)

الموضع الرابع : في قوله تعالى ((والذين هم لفروجهم حافظون)) . (٣)

تكررت الآية قبل ذلك في سورة المؤمنين ، وهنا ذكرت في معرض بيان صفات الإنسان الطبيعية من الجزع و الهلع و استغنى المصلين الذين يداومون على صلاتهم وكانت تلك من صفاتهم ، وجاء البيان لمعنى حفظ الفروج : " فلا يطأون بها وطأ محرما ، من زنا أو لواط ، أو وطأ في دبر ، أو حيض و نحو ذلك ، ويحفظونها أيضا من النظر اليها ومسها ، ممن لا يجوز له ذلك و يتركون أيضا وسائل المحرمات الداعية لفعل الفاحشة . (٤)

و الصحيح أن المراد ينطبق على قولين و أن اللفظ عام فيجب شر الفروج عن الأبصار و حفظها عن الوقوع في الحرام . (٥)

-
- ١- سورة الأحزاب ، آية (٣٥) .
 - ٢- ينظر : جامع البيان في تأويل القرآن : ٢٠ | ٢٧٠ .
 - ٣- سورة المعارج ، آية (٢٩) .
 - ٤- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت : ١٣٧٦ هـ) تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، مؤسسة الرسالة ، ط ١ (١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م) : ص ١٠٤٧ .
 - ٥- ينظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ابو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الاندلسي المجازي (ت : ٥٤٢ هـ) ، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط ١ (١٤٢٢ هـ) : ٤ | ١٧٧ .

٣ - الغافلات

ذكرت تلك الكلمة في موضع واحد في سورة النور في قوله تعالى ((أن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم)) .^(١)

أن الغفلة بما هو متعارف عليه هي بعد عن الطاعة ، وفي هذه الآية كان لوصف من الله تعالى للمحصنات اللواتي انشغلن بطاعة الله تعالى بالمحصنات الغافلات .^(٢)

٤ - الطهر

وردت مشتقات الطهر في العديد من الآيات ولكن بما يراد في العفة في قوله تعالى ((وما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوهم من قريبتكم أنهم أناس يتطهرون)) .^(٣)

يتطهرون هنا بمعنى يتقذرون ويتنزهون عن فعل قوم لوط بعد م أتيان أدمبار الرجال و النساء ، فنبى الله لوط (عليه السلام) ، ومن معه يتعففون عن تلك العادة القبيحة .^(٤)

ومن الواضح أن الفساد و الانحلال والضلال تغلب على سلوكهم وأحوالهم رجالهم وشبابهم ، ونسائهم ، و القاعدة عندهم هي الفساد ومن الشذوذ أن تجد فيهم أثرا .

-
- ١ - سورة النور ، آية (٢٣) .
 - ٢ - ينظر : مختصر تفسير البغوي ، عبد الله بن احمد بن علي الزيد (د .ت) ، دار السلام للنشر و التوزيع - الرياض ، ط ١ (١٤١٦ هـ) : ٦ | ٢٧ ، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلا المنان : ص ٦٦٠ .
 - ٣ - سورة الأعراف ، آية (٨٢) .
 - ٤ - ينظر : أنوار التنزيل و أسرار التأويل ، ناصر الدين ابو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت : ٦٨٥ هـ) : ٢ | ٢٧٢ ، و الكشف و البيان : ٧ | ٢١٨ ، وصفوة التفاسير ، محمد علي الصابوني (د . ت) د . ت ، دار الصابوني للطباعة و النشر و التوزيع - القاهرة ، ط ١ (١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م) : ١ | ٤٢٤ .

المبحث الثاني

العفة في سورة يوسف (عليه السلام)

عفة النبي يوسف (عليه السلام)

عندما يوصي أحد بالعفة ناصحا و واعظا فإن أول النماذج المتبادرة لأذهاننا ، هي قصة النبي يوسف (عليه السلام) في عفته و نزاهته ، كيف لا و هي من أحسن القصص ، قصة نبي أفتقد والده المحب له ، وهو غلام ، ألقى في البئر و ظلمته ، ثم عاش عند سيد لا يملك نفسه ، نبي كريم مر بأحداث عظام فصبر عليها ، نحكي قصته كشاب استعلى بأيمانه على شهوته و أستعف إرضاء لله تعالى ، ووفاء لمن آواه ^(١) ، قال فيه تعالى ((أنه من عبادنا المخلصين)) . ^(٢)

أنها قصة لجميع مراحل حياة النبي يوسف (عليه السلام) متسلسلة في سورة واحدة وهي سورة يوسف سميت باسمه (عليه السلام) ، هي مرحلة تحمل في طياتها المحن متتالية من الطفولة حتى وصوله السجن مظلوما ، بدءا من كبد إخوته له الى كيد النسرة ، هي وصفت بأنها أحسن القصص ، بقوله تعالى في بدايتها في الآية الثالثة منها مخاطبا نبيه محمد (صلى الله عليه وسلم) : ((نحن نفض عليك أحسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن و أن كنت من قبله لمن الغافلين)) . ^(٣)

أخوة يوسف (عليه السلام) يتأمرون عليه (المحنة الأولى)

أدرك نبي الله يعقوب (عليه السلام) ببصيرته أن لولده يوسف (عليه السلام) شأننا عظيما ، وذلك عندما قص رؤياه على أبيه ، رؤيا ليست من رؤى الصبيان ، فقد رأى الشمس و القمر له ساجدين ، ^(٤)

بقوله : ((إذ قال يوسف لأبيه يا أبت أني رأيت أحد عشر كوكبا و الشمس و القمر رأيتهم لي ساجدين)) . ^(٥)

-
- ١- جامع البيان في تأويل القرآن ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الاملي ، ابو جعفر الطبري (ت : ٣١٠ هـ) ، تحقيق احمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، ط ١ ، (١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م) ، ١٥ | ٥٥٨ .
 - ٢- سورة يوسف ، الآية (٢٤) .
 - ٣- سورة يوسف ، الآية (٣) .
 - ٤- بطاقة ظلال القرآن سيد قطب ، دار الشروق بيروت ، القاهرة ط١٧ ، ، ١٤١٢ - ١٩٧٣م
 - ٥- سورة يوسف ، الآية (٤) .

فقال يعقوب (عليه السلام) موسى ولده ألا يخبر إخوته بها ، فيجد الشيطان سبيلا في نفوسهم بسبب حقدهم على أخيهم غير الشقيق ، قال تعالى : ((قال يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا أن الشيطان للإنسان عدو مبين)) .^(١)

من هنا في مرحلة الطفولة ابتدأت محن يوسف بسبب حقد إخوته عليه ، قال تعالى : ((لقد كان في يوسف و إخوته آيات للسائلين . إذ قالوا ليوسف وإخوه أحب إلينا منا و نحن عصابة أن أبانا لفي ضلال مبين . أقتلوا يوسف أو أطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين . قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابت الجب يلتقطه بعض السيارة أن كنتم فاعلين)) .^(٢)

لقد كان الحسد و الحقد على أخيهم بسبب حب والدهم له وإيثاره عليهم في حد زعمهم أن يفكروا بالخلاص منه بأي طريقة ، حتى لو كان بقتل تلك النفس البريئة ، نفس طفل لا يقدر دفع إذاهم عنه ، وهم إخوته ، فكروا بطريقة القتل الذي هو من الكبائر بعد الشرك ، قال تعالى : ((قالوا يا أبانا ما لك لا تأمنا على يوسف وإنا له لناصحون . أرسله معنا غدا يرتع و يلعب وأنا له لحافظون . قال أي ليحزنني أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون . قالوا لننأكله الذئب ونحن عصابة إنا إذا الخاسرون)) .^(٣)

فها هم الآن يبذلون الجهد ، بل كل الجهد لإقناع والدهم بذهاب يوسف معهم محاولين التدسس إلى قلب والدهم المتعلق بولده الحبيب .^(٤)

-
- ١- سورة يوسف ، الآية (٥) .
 - ٢- نفس المصدر ، الآية (٧ - ١٠) .
 - ٣- نفس المصدر ، الآية (١١ - ١٤) .
 - ٤- في ظلال القرآن ، سيد قطب ابراهيم حسين الشاذلي ، (ت : ١٣٨٥ هـ) ، دار الشروق بيروت - القاهرة ، ط ١٧ - (١٤١٢ هـ - ١٩٧٣ م) .

مراودة امرأة العزيز يوسف (عليه السلام) (المحنة الثانية)

وتبدأ قصة المحنة الثانية عندما جاءت سيارة أخرجوه من البئر و اعتبروه بضاعة فباعوه بدراهم معدودة ، ثم بيع لعزيز مصر ، وقد تربى عنده حتى صار شابا ، وتعرضه لدعوة امرأة العزيز له لفعل الفاحشة وعفته عن فعل ذلك ، قال تعالى : ((و راودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك قال معاذ الله أنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون . ولقد همت به و هم بها لو لا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء و الفحشاء أنه من عبادنا المخلصين . و استبقا الباب و قدت قميصه من دبر و ألقيا سيدها لدى الباب قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوء ألا أن يسجن أو عذاب أليم . قال هي راودتني عن نفسي و شهد شاهد من أهلها أن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين . و أن كان قميصه قد من دبر قال أنه من كيدكن أن كيدكن عظيم . يوسف أعرض عن هذا و استغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين . وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا إذا لنراها في ظلال مبين)) .^(١)

تلك الآيات بمجموعها تؤكد وتقر ثبات النبي يوسف (عليه السلام) على خلق العفة و الوفاء و قوة الأيمان بالله و الرقابة الذاتية الحاضرة في داخله و لو غاب عنه الناس و سيده العزيز ، و المراودة صيغة مفاعلة تعني تكرير المحاولة ، رغم توفر الدواعي لأرتكاب الفاحشة .^(٢) وهي :

أولا : الدواعي الموجودة حوله

١- مراودة امرأة العزيز لبني الله يوسف (عليه السلام) من نفسه

وهذا أسهل في ارتكاب الفاحشة ، حيث قال (عليه السلام) : ((و راودته التي هو في بيتها))^(٣) .

-
- ١- سورة يوسف ، الآية (٢٣ - ٣٠) .
 - ٢- معالم التنزيل في تفسير القرآن ، محيي السنة ، ابو محمد الحسين بن مسعود البخوي (ت ، ٥١٠ هـ) ، تحقيق ، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر ، عثمان جمعة ضميرية سليمان مسلم العرش ، دار طبية ، ط ٤ ، (١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م) ، ٤ | ٢٢٢ .
 - ٣- سورة يوسف ، الآية (٢٣) .

لقصد مما تؤذن به الصلة من تقرير عصمة يوسف (عليه السلام) لأن كونه في بيتها من شأنه أن يطوعه لمرادها ، وبيتها بيت سكنها الذي تنبت فيه فمعنى هو في بيتها أنه كان حينئذ في البيت الذي هي به ، ويجوز أن يكون المراد بالبيت ، المنزل كله ، وهو قصر العزيز ، ومنه قولهم : ربة البيت أي زوجة صاحب الدار ويكون معنى هو في بيتها أنه من حملة أتباع ذلك المنزل .^(١)

ويتضح الأمر أيضا من خلال قوله تعالى ((قالت فذلكن الذي لمتني فيه ولقد راودته عن نفسه)) .^(٢)

ففي هذه الآية تعترف امرأة العزيز بأنها هي التي قامت بذلك الفعل ابتداء .

٢- تهيئة أسباب الفاحشة

في قوله تعالى : ((وغلقت الأبواب)) ، تشديد الفعل للمبالغة في إحكام إطباق الأبواب .^(٣)

٣- دعوة امرأة العزيز الصريحة لارتكاب الفاحشة

شجعت على ذلك ((وقالت هيت لك)) أي تعال و هلم وأقبل تلك دعوة واضحة من امرأة العزيز بدعوتها يوسف (عليه السلام) لمواقعتها ، وما تحمله تلك الكلمة من معنى لاغراءات سبقتها بتهيئة نفسها لذلك و الملاطفة بالتزين .^(٤)

٤- امرأة العزيز من أصحاب السلطة

أن النبي تطلب منه الوقوع بالفاحشة هي من السلطة الحاكمة في مصر ، و كونها بهذه المكانة فيكون المرء بين أمرين إما أن يخاف التهديد له بالسجن أو العذاب وكلاهما أمر شديد وقوعه على إنسان بريء لم يفعل ما يوجب صدور هذه الأفعال بحقه و هذا ما حدث ، أو أن يطمئن بأنها ستحميه من العقوبة ، و لن يخاف من ارتكاب المحرم لحماية .

١- التحرير و التنوير، محمد الطاهر بن محمد بن الطاهر بن عاشور التونسي ، (ت ١٣٩٣ هـ) ، دار التونسية للنشر ، تونس ، ١٢ | ٢٥٠ .

٢- سورة يوسف ، الآية (٣٢) .

٣- أنوار التنزيل و أسرار التأويل : للبيضاوي ، ٣ | ١٣١ .

٤- أنوار التنزيل و أسرار التأويل : ناصر الدين ابو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي ، (ت : ٦٨٥ هـ) ، تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ط ١ - ١٤١٨ هـ ، ٣ | ١٣١ .

وقد استخدمت ذلك امرأة العزيز عندما خافت أن يكشف أمرها لزوجها لما هرب يوسف (عليه السلام) ليخرج من الباب خوفا من الفتنة ، فبادرت اليه وشقت قميصه من الخلف ، ((و استبقا الباب وقدت قميصه من دبر وأفيا سيدها لدى الباب)) ، وعندما وصلا الى الباب و وجدت زوجها بادرت بالكذب متهمة يوسف (عليه السلام) بمراودتها – معاذ الله أن يفعل - ((قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءا ألا أن يسجن أو عذاب أليم)) .^(١)

وتصل بها الجرأة في لحظة من اللحظات أن تعترف و تصرح بجريمتها ، حيث قال تعالى ((قالت فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما أمره ليسجنن وليكونن من الصاغرين)) .^(٢)

ومن هذا بأنه استعصم أي امتنع ، وتصرح أيضا ((ولئن لم يفعل ما أمره ليسجنن و ليكونن من الصاغرين)) وهذا تهديد صريح بالسجن أن لم يطاوعها فيما دعته اليه و العقوبة ستكون بالسجن و الذل .^(٣)

ثانيا : الدواعي في شخصه (عليه السلام)

١- حصلت هذه الحادثة لنبي الله يوسف (عليه السلام) وهو شاب ، وهي أيضا شابة قد يلتفت نظره الى المرأة الجميلة .

القرآن الكريم لم يذكر كم كان عمر كل من سيدنا يوسف (عليه السلام) وامرأة العزيز ، ولكن قدر المفسرون عمر كل منهما تقديرا ، فعندما ألقاه إخوته في الجب كان غلاما وعلم ذلك من خلال قوله تعالى : ((وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه قال يا بشرى هذا غلام و أسروه بضاعة و الله عليم بما يعملون))^(٤) ، والغلام

١- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت ١٣٧٦ هـ) تحقيق ، عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، مؤسسة الرسالة ، ط ١ ، (١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م) ، ص ٤٥٧ .
٢- سورة يوسف : الآية (٣٢) .
٣- معالم التنزيل في تفسير القرآن : للبخوي ، ٢ | ٤٩٠ .
٤- سورة يوسف ، الآية (١٩) .

عمره حوالي أربعة عشر عاما تنقص و لا تزيد ، ومن المؤكد أن والده النبي يعقوب (عليه السلام) لم يخف عليه ألا كونه في عمر أقل من عمر الشباب و الفتوة فقال : ((وأخاف أن يأكله الذئب و أنتم عنه غافلون)) (١) ، أما امرأة العزيز فكانت هي و زوجها لم يرزقا بأولاد و يظهر ذلك من خلال قوله تعالى : ((وقال الذي اشتراه من مصر لامراته أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا ...)) (٢) .

فقول العزيز ذلك ورود فكرة التبني لم تكن عبثا ألا لأنه قد مر على زواجه هو و زوجته أعواما لم يرزقا خلالها بولد ، وربما كان اليأس من أنجابه ، و كذلك المنصب الذي يتولاه عزيز مصر فيها لا يتأنى الا و قد كان عمره على الأقل أربعين سنة ، ومن المتوقع أن زوجته في الثلاثين من عمرها آنذاك ، بالتالي فأن يوسف (عليه السلام) عند وقوع الحادثة حوالي الخامسة و العشرين سنة . (٣)

وكذلك قول النسوة عن امرأة العزيز محيين عليها مراودتها فتاها أي عبدها ((وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا إنا لنراها في ضلال مبين)) (٤) .

١- أنه (عليه السلام) بالنسبة لمن في القصر عبد

والعبد مستضعف مملوك لمالكيه ، وبإمكانهم إيقاع الأذى به ، كيف شاءوا و متى شاءوا ، و النفس قد تنصاع لأوامر مالكيها على الأقل خوفا من الأذى و رغبة في رفعه .

قال تعالى : ((و راودته التي هو في بيتها عن نفسه)) (٥) . أي : هو غلامها ، و تحت تدبيرها و المسكن واحد ، تيسير إيقاع الأمر المكروه من غير أشعار أحد ، و لا إحساس بشر . (٦)

-
- ١- نفس المصدر ، الآية (١٣) .
 - ٢- نفس المصدر ، الآية (٢١) .
 - ٣- في ظلال القرآن ، ٤ | ٢٩٩ .
 - ٤- سورة يوسف ، الآية (٣٠) .
 - ٥- سورة يوسف ، الآية (٢٣) .
 - ٦- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : ، ط١ ، (١٤٢ هـ - ٢٠٠٠ م) ، ص ٤٥٦ .

٢- أنه (عليه السلام) غريب في مصر بعيد عن رقابة الأهل ومن قد يخجل منهم

فالمرء الذي لا يستحي من الله ، قد يستحي من الناس ويخشى الفضيحة بينهم وفي ذلك نموذج لشاب غابت أعين الناس عنه و رقابة الأهل و الأصحاب ، ولكن لم تغب عفته أمام تلك المغريات في غربته عن الأهل ، " فهو غريب ، لا يحتشم مثله ما يحتشمه إذا كان في وطنه و بين معارفه ، وهو أسير تحت يدها ، وهي سيدته ، وفيها من الجمال الى ما يدعو الى ما هنالك ، وهو شاب أعزب ، وقد توعدنه ، أن لم يفعل ما تأمره به بالسجن أو العذاب الأليم " . (١)

مظاهر ودلائل عفة يوسف (عليه السلام)

أولاً : مراقبة الله عز وجل و الاعتراف بالجميل لأجله

يظهر ذلك في قوله تعالى : ((قال معاذ الله أنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون)) . (٢)

بعد مراودة امرأة العزيز له و تغليق الأبواب و قولها هيت لك قوله (عليه السلام) ((معاذ الله)) فهو يدعو الله تعالى مستجيراً لاجئاً اليه من الوقوع في الفاحشة ، وهو مصدر تقديره عياداً بالله ، أن أقوم بهذا الفعل القبيح الموجب لسخط الله عز وجل ، وقوله : ((أنه ربي)) ، وفي ذلك قولان : الأول أنه يقصد بذلك سيده العزيز أي أحسن منزلته فما أكرمني به ويوجب علي احترامه لا أن أقبله في أهله بفعل قبيح و على ذلك أكثر المفسرين ، و الثاني أن المقصود بالرب هو الله سبحانه و تعالى أي آواني في هذه الدار بعد نجاتي من الجب ومن بلاء الجب عافاني ، ((أنه لا يفلح الظالمون)) : فلا فلاح للمتجاوزين حدود الله عز وجل ، وقيل الظالمون أي الزناة . (٣)

١- نفس المصدر ، ٤٥٧ .

٢- سورة يوسف ، الآية (٢٣) .

٣- الكشف و البيان في تفسير القرآن ، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي ، أبو اسحاق (ت : ٤٢٧ هـ) ، تحقيق :
الأمام أبي محمد بن عاشور ، وقفة ، الاستاذ نظير الساعدي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان ، ص ٥ |
٢٠٩ .

ثانيا : لم يستجب لدعوتها إياه لفعل الفاحشة

قال تعالى ((و استبقا الباب وقدت قميصه من دبر)) .^(١)

أنه كان هاربا و قد قميصه من الخلق ، فكان ذلك لما أمتنع عن إجابة امرأة العزيز بعد تغليقها الأبواب ومرادتها له ، وتهديدها ، ولى هاربا خارجا من المكان سعيا للخلاص من الفتنة ، فلما تبعته حتى لا يفتح الباب وكان قد سبقها فتعلق بقميصه و جذبته حتى لا يخرج فشقته من الخلف .

((والقيها سيدها لدى الباب)) أي فوجدت زوجها عند الباب لدى فرار يوسف (عليه السلام) فخافت و سبقت بالقول و قالت ((ما جزاء من أراد بأهلك سوءا)) أي الزنا ، لكنها خافت عليه أن يقتل فبادرت بالقول : ((ألا أن يسجن أو عذاب أليم)) .^(٢)

١ - سورة يوسف ، الآية (٢٥) .
٢ - معالم التنزيل في تفسير القرآن ، محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود البخوي (ت : ٥١٠ هـ) ، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش ، دار طيبة ، ٤ | ٢٣٤ .

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات و الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه و عظيم سلطانه ، أن وفقني لاتمام هذا البحث .

وكما هو معلوم أن خلق العفة من الموضوعات المهمة التي لا يمكن إغفالها ، و سأطبق هذه العفة في حياتي لأنها حقا عفة الاسلام التي تصون الأسرة المسالمة من الاهواء و الانحرافات ، وفيما يأتي أهم النتائج و التوصيات التي توصلت اليها خلال هذه الدراسة .

أولا : النتائج

- ١- العفة هي ضبط النفس ومنعها من الانقياد للشهوات ، و البعد عن المحرمات و الفواحش وما يقرب اليها .
- ٢- العفة خلق فطري فطر الله تعالى عليه البشر ، وعلى المسلم الاجتهاد في طلب هذا الخلق الرفيع ، و الصبر على متطلبات النفس و ما تهوى اليه .
- ٣- صدق العبد مع ربه يدعوه أن يلجأ اليه تعالى عند وجود الأسباب المفضية للمعصية طالبا حمانيه مستعصما به ، كما فعل يوسف (عليه السلام) بقوله ((و ألا تصرف عني كيدهن أحب اليهن و أكن من الجاهلين))^(١) .

ثانيا : التوصيات

في ضوء النتائج السابقة ، فأنتني أوصي بالآتي :

- ١- الحرص على متابعة الأبناء ومراقبتهم في استخدامهم لوسائل الاتصال ، و الحرص على مصادقة الصالحين الذين يذكروهم بالطاعات .
- ٢- أن يكون المربون قدوة حسنة للأجيال ومثالا صادقا في العفة و الصلاح .
- ٣- نشر الوعي بين أفراد المجتمع الإسلامي باقامة محاضرات و الندوات الدينية حول موضوع العفة .
- ٤- ما وصيكم يا شباب المجتمع بالعفة التي تضبط سلوكيات الأدميين عن الانحراف الى مهاوي الرذيلة و الانحطاط .

١- سورة يوسف ، الآية (٣٣) .

المصادر المراجع

القرآن الكريم

- ١- المفردات في غريب القرآن ، ابو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني (ت ٥٠٢ هـ) ، تحقيق : صفوان عدنان الدلودي ، دار القلم ، الدار الشامية – دمشق بيروت ، ط١ ، ١٤١٢ هـ ، ١ | ٥٧٣ .
- ٢- المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم ، محمد فؤاد عبد الباقي ، مطبعة دار الكتب المصرية – القاهرة ، : (١٣٦٤ هـ) .
- ٣- المعجم الوسيط ، (ابراهيم مصطفى ، أحمد الزييات ، حامد عبد القادر ، محمد البخار) دار الدعوة ، (د . ت) .
- ٤- الكشف و البيان عن تفسير القرآن ، أحمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي ، أبو اسحاق (ت : ٤٢٧ هـ) ، تحقيق : الأمام أبي محمد بن عاشور ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ط (١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٤ م) .
- ٥- المنتخب في تفسير القرآن الكريم ، لجنة من علماء الأزهر ، (د . ت) ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – مصر طبع الاهرام ، ط ١٨ (١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م) .
- ٦- احمد فريد المزيدي ، دار الكتب العلمية ، د . ط (٢٠٠٣ م) .
- ٧- النكت و العيون ، ابو الحسن علي بن محمد بين محمد بن حبيب البصري البغدادي الماوردي (ت : ٤٥٠ هـ) تحقيق السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم ، دار الكتب العلمية – بيروت | لبنان ، (د . ط) .
- ٨- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ابو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الاندلسي المجازي (ت : ٥٤٢ هـ) ، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط ١ (١٤٢٢ هـ) .
- ٩- أرشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم (تفسير ابي السعود ، ابو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت : ٩٨٢ هـ) دبت ، دار أحياء التراث العربي – بيروت ، (د . ط) .
- ١٠- كتاب التعريفات ، علي بن محمد بن علي الجرجاني (ت ٨١٦ هـ) تحقيق عادل انور خضر ، (دار المعرفة بيروت – لبنان) ط ١ (١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م) ، ص ١٣٩ .
- ١١- مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي ابو الحسن (ت : ٣٩٥ هـ) ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، (١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م) .

- ١٢- كتاب العين ، ابو عبد الرحمن الخليل بن احمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت : ١٧٠ هـ) تحقيق د. مهدي المخزومي ، د. ابراهيم السامرائي ، دار مكتبة الهلال ، (د . ط) : ١١٨/٣ .
- ١٣- بصائر ذري التميز في لطائف الكتاب العزيز ، مجد الديت ابو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز أياي (ت : ٨١٧ هـ) تحقيق محمد علي النجار ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة ، د . ط (١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م) .
- ١٤- تأويل مشكل القرآن ، ابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت : ٢٧٦ هـ) تحقيق ابراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، (د . ط) .
- ١٥- نيل المرام ن تفسير آيات الأحكام ، ابو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطيف الله الحسين البخاري القنوجي (ت : ١٣٠٧ هـ) محمد حسن اسماعيل - احمد فريد المزيدي ، دار الكتب العلمية ، د . ط (٢٠٠٣ م) .
- ١٦- الدار المنشور ، عبد الرحمن بن ابي بكر جلال الدين السبوطي (ت : ٩١١ هـ) د . ت ، دار الفكر - بيروت ، (د . ط) .
- ١٧- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت : ١٣٧٦ هـ) تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، مؤسسة الرسالة ، ط ١ (١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م) .
- ١٨- مختصر تفسير النجوي ، عبد الله بن احمد بن علي الزيد (د . ت) ، دار السلام للنشر و التوزيع - الرياض ، ط ١ (١٤١٦ هـ) .
- ١٩- أنوار التنزيل و أسرار التأويل : ناصر الدين ابو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي ، (ت : ٦٨٥ هـ) ، تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ط ١ - (١٤١٨ هـ) .
- ٢٠- صفة التفاسير ، محمد علي الصابوني (د . ت) د . ت ، دار الصابوني للطباعة و النشر و التوزيع - القاهرة ، ط ١ (١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م) .
- ٢١- في ظلال القرآن ، سيد قطب ابراهيم حسين الشاذلي ، (ت : ١٣٨٥ هـ) ، دار الشروق بيروت - القاهرة ، ط ١٧ - (١٤١٢ هـ) .
- ٢٢- معالم التنزيل في تفسير القرآن ، محيي السنة ، ابو محمد الحسين بن مسعود البخوي (ت ، ٥١٠ هـ) ، تحقيق ، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر ، عثمان جمعة ضميرية سليمان مسلم العرش ، دار طيبة ، ط ٤ ، (١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م) .
- ٢٣- التحرير و التنوير، محمد الطاهر بن محمد بن الطاهر بن عاشور التونسي ، (ت ١٣٩٣ هـ) ، الدار التونسية للنشر ، تونس (د . ط) (١٩٨٤ هـ) .